المجمع 19 (2024/1445)، 1-44

أدونيس والمتنبّي، معادلات استياء واغتراب: "الكتاب" نموذجًا

إيهاب حسين[1]

Adonis and al-Mutanabbī
Equations of Disgruntlement and Estrangement
Al-Kitāb as an Example

Ihab Hussein

Abstract

This article aims to examine the relationship of identification between Adonis and al-Mutanabbī in the state of disgruntlement that they both experience, each in his era and place, in addition to the poets' experience of estrangement that manifests itself in their poetry.

Our research focuses on the state of identification between both poets in Adonis' work *al-Kitāb Ams al-Makān al-ān* (The Book: Yesterday, the Place, Now), by discussing the openness of Adonis' experience in this respect towards al-Mutanabbī's poetry in his two-volume dīwān. So that, we focus our interest on studying those experiences that had a profound impact on the formation of the *al-Kitāb's* identity.

Based on the above, it was necessary for us, throughout the examination, to explore the functioning of the rules of intertextuality in Adoni's texts, and the identification of the poet with al-Mutanabbī's verses.

We suggest to present the results of the research on the level of content as well as style, in order to clarify how the style harmonizes with the content in the texts and the verses that convey the tone of the disgruntlement and the state of estrangement of the two poets.

[1] كلية دافيد يلين.

الملخّص:

يسعى هذا المقال إلى تقصّي علاقة التّماهي بين أدونيس والمتنبّي في حالة الاستياء الّتي يعيشانها، كلّ واحد في زمانه ومكانه، بالإضافة إلى تجربة الاغتراب الّتي تجد سبيلها إلى ملامح تجربتهما الشّعريّة، ويتمحور بحثنا حول تجلّي حالة التّماهي بين الشّاعرين في ديوان أدونيس **الكتاب- أمس المكان الآن**[1]، وذلك مع الوقوف على انفتاح تجربة أدونيس في هذين المحورين على شعر المتنبّي في ديوانه بجزأيه، ويأتي اهتمامنا في بحث هاتين التّجربتين اللتين كان لهما شديد الأثر في تَشَكُّل هويّة **الكتاب**.

بناء على ما تقدّم، كان لزاما علينا، خلال التّقصّي، أن نتحرّى اشتغال قوانين التّناصّ[2] واشتغالها في متون أدونيس الكتابيّة، وكيفيّة تكاتب صاحبها مع أبيات المتنبّي، وقد رأينا أن نجعل ما أفرزته نتائج التّقصّي على صعيدي المضمون والأسلوب، لنتبيّن كيف يتجانس الأسلوب مع المضمون في المتون والأبيات الّتي تنقل صوت الاستياء، وحالة الاغتراب عند الشّاعرين.

قراءة في حالة استياء الأنا الشّاعرة من أحوال زمانها:

تتّخذ الأنا الشّاعرة في "الكتاب" وفي ديوان المتنبّي موقفا مماثلا من زمانها، فهي تستاء منه وتستصغر شأنه، فذلك الزّمان لا يرضيها، وهو ليس بالإطار الجدير باحتوائها. وممّا يلاحظه الباحث المتمعّن والمتتبّع لهذا الموقف عند الشّاعرين، أنّ الموقف ثابت لا يتغيّر في أجزاء

[1]. "الكتاب" مشروع شعريّ يتألّف من ثلاثة أجزاء صدر أوّلها عام 1995، والثّاني عام 1998، أمّا الثّالث فصدر عام 2002، في الكتاب يستحضر أدونيس المتنبّي سيرةً وشعرًا، ويجعله مادّة طيّعة للتّكاتب، وبالتّالي تنفتح نصوص أدونيس على محطّات سيرة أبي الطّيب وتنطلق منها في إنشاء مادّة شعريّة حداثيّة يحمّلها أدونيس بأجندته الفكريّة. اهتمّ النّقاد بديوان أدونيس، ومن بينهم النّاقد محمّد بنّيس في مقاله "أدونيس ومغامرة الكتاب" (1997) حيث يبيّن خصوصيّة المنجز معتبرا إيّاه تجربة إبداعيّة غير مسبوقة، وبالتّالي يرى أنّ الكتاب يتطلّب قارئا متمرّسا يستجيب لأسلوب كتابيّ لا يغامر فيه إلّا أدونيس، كما يتطرّق إلى حضور المتنبّي في الكتاب معتبرا فجائعيّة ظروفه مادّة قابلة للتّكاتب، ومن هذا المنطلق يسهل جرّها إلى عصرنا الرّاهن وبالتّالي تطويعها لنصّ حداثيّ تلعب فيه الأجندة الأيديولوجيّة دورا حاسما.

[2]. للاستزادة حول التّناص راجع Kristeva 1980، Hafez 1984، Alfaro 1996، Allen 2004، Adolph 2007، بنّيس 1985، باختين 1986، جينيت 1986، يقطين 1989، كريستيفا 1991، مفتاح 1992، بارت 1998.

"الكتاب" الثّلاثة[1]، وذلك ممّا يوازي موقف أنا المتنبّي المستاء من بيئته الزّمانيّة[2] التي ذمّها واستصغر شأنها ناشدًا زمانا آخر يوائمه ويحتوي همّته العالية.

يشكّل موقف الشّاعرين من زمنهما محورًا يجمع بينهما بعلاقة تقوم على التّماهي والتّجاور والتّلاقي، فبات التّناصّ أمرًا حتميًّا في ظلّ هذا التّقارب، ولا يقتصر الأمر على موقف الاستياء فحسب، فاستياء الأنا من زمانها جعلها تعيش تجربة من الغربة والوحدة في بيئتها، فكان من الطبيعيّ أن تمتدّ علاقات التّداخل بين الشّاعرين لتشمل هاتين التّجربتين، وهما ممّا يشغل حيّزًا بارزًا في نتاج الشّاعرين. تقول الأنا الشّاعرة في الجزء الأوّل من "الكتاب":

---

[1] يشكّل موقف أدونيس المستاء من أحوال زمانه موتيفا مركزيّا في أعماله الشّعريّة السّابقة، فقد أشغل هذا الجانب حيّزا كبيرا من صفحات دواوينه، وعلى سبيل التّمثيل لا الحصر نشير إلى قصيدته "البربريّ القدّيس" من ديوانه **أغاني مهيار الدّمشقيّ**:

ذاك مهيار فديسك البربريّ
يا بلاد الرّؤى والحني
حامل جبهتي لابس سفتيّ
ضد هذا الزمان الصغير على التّائهين.

لقراءة النّصّ، كاملًا انظر أدونيس. **أغاني مهيار الدّمشقيّ**. (بيروت، 1970)، ص164.

الزّمان، عند الشّاعر، صغير لا يتّسع لرؤاه، ونلحظ أنّ موقف أدونيس من الزّمان لا يتبدّل فهو على حاله من الصّغر والمحدوديّة أمام الذّات الشّاعرة، وليس غريبًا، إذن، أن يحضر ذلك الموقف في الأجزاء الثّلاثة من "الكتاب". يتطرّق النّاقد رؤوبين سنير إلى تراكميّة المعنى النّاتجة عن علاقات التّداخل بين نصوص الشّاعر نفسه: سابقها ولاحقها معتبرًا شبكة التّداخلات العبر- نصّيّة تمثيلًا لحالة من التّحاور، عندها يتراكم المعنى الرّاهن على المعاني السّابقة الّتي سبق وتكوّنت في ذهن القارئ. للاستزادة: انظر سنير 1993، 68.

[2]. نستثني من سيرة المتنبّي السنوات التسع التي قضاها في حضرة سيف الدّولة الحمدانيّ، والتي اعتبرها النّقّاد فترته الذّهبيّة، وفيها تتّخذ الأنا الشّاعرة موقف المهادنة مع زمانها، وذلك ممّا سيتمّ تناوله بتوسّع في موضع لاحق من صفحات هذا الفصل.

سحقًا لعصري

سحقًا لهذا الزّمن الهزيل.[1]

ولا تتغيّر أحوال زمان الأنا في صفحات الجزء الثّاني من "الكتاب" بل تُضاف إلى المعادلة تفاصيل هذا الزّمان المرعبة والواقعيّة التي تلخّص ذلك الزّمان:

بين سيف يَحُزُّ، وعنق يُحَزُّ،

المدائن وحي

والخراب كتاب.[2]

في صفحات الجزء الثّالث من "الكتاب" يرتسم الزّمان ذابلًا، فلا نتوقّع من زمان يسود فيه السّيف وتُطاح فيه الأعناق إلّا الذّبول والموت:

ذابل وجه أيّامنا

ذابلات رياحينها

ذابلات خطاها.[3]

هو زمن الذّبول، حين تموت الرّياحين، وحين تثُبط العزائم وتجهض الخطوات ولّما تولد بعد.

وتنفتح السّياقات السّابقة على أبيات المتنبّي وتحاكيها، وبذلك، تشكّل امتدادا لإحساس الأنا بقصور زمانها وسوء أحواله، وهو ليس بالأمر العابر الّذي لا تلتفت إليه الأنا الشّاعرة، بل تطمح من خلال أصوات قصائدها إلى إبرازه، وبالتّالي التّعبير عن مرارة ألمها جرّاء ما تعانيه من ذلك الزّمان.

[1] انظر أدونيس. **الكتاب- أمس المكان الآن**. (بيروت، 1995). ص 230.

[2] انظر أدونيس. **الكتاب- أمس المكان الآن**. (بيروت، 1998)، ص 263.

[3] انظر أدونيس. **الكتاب- أمس المكان الآن**. (بيروت، 2002)، ص 30.

تقول الأنا الشّاعرة في ديوان أبي الطّيّب:

أذمّ إلى هـــــذا الـزّمـان أُهـيـلَـهُ   فـأعـلـمـهـم فـدم[1] وأحـزمـهـم وغـد[2]

ويتماهى صوت أنا أدونيس مع صوت أنا المتنبّي، ويولّد هذا التّماهي نوعًا من التّقارب والتّداخل بين النصّين، فزمان الذّاتين مذموم ومستَصغَر ومحتقر. ونلاحظ توظيف كلمة أذمّ عند المتنبّي والتي توازيها كلمة ((سحقا)) عند أدونيس، وفي الحالتين تعبّر اللّفظتان عن شديد استياء الأنا من ذلك الزّمن، ولا يغيب عن القارئ موقف الاستصغار في النّصّين المتجاورين، فيوظّف المتنبّي كلمة "أهَيله" وهي صيغة تصغير للدّلالة على صغر شأن زمانه بأهله وناسه، وهذا الاستصغار إنما يُعبّر عنه بقول أدونيس "الزّمن الهزيل"، وبهذا يتناغم الصّوتان ويتوحّدان في تشكّل المعنى الممتدّ بين النّصّين وإن فصلت قرون من الزّمان بين الشّاعرين.

ويتطرّق أدونيس في بعضٍ من تنظيره النّثريّ إلى أثر الماضي في تشكّل النّصّ المعاصر، فيقول في **زمن الشّعر** (1972): "من البداهة أنّ الشّاعر لا يكتب من فراغ، بل يكتب ووراءه الماضي وأمامه المستقبل، فهو ضمن تراثه ومرتبط به، فليس التّراث عادةً في الكتابة، أو موضوعات طُرقت ومشاعر عويِنَت وعُبِّر عنها، وإنّما هو طاقةُ معرفةٍ وحيويّةُ خلقٍ".[3]

واستمرارًا لهذا التّنظير يأتي نصّه السّابق تجسيدًا وتطبيقًا له، إذ يشكّل التّراث، وإن كان سلبيًّا، طاقة معرفيّة تداخل معها وحاورها مانحًا النّصّ روحًا وصبغة عصريّة يُستشرف من خلالها المستقبل، وذلك، بدوره يشكّل ملمحًا من ملامح النّصّ الرّاهن المتّكئ والمحاوِر للنّصّ الأصليّ.

[1]. فدم: قليل الفهم.

[2]. انظر ناصيف اليازجي. **العرف الطّيّب في شرح ديوان أبي الطّيّب**. (ج 1). (بيروت، 1887)، ص 205.

[3]. انظر أدونيس. **زمن الشّعر**. **(بيروت**، 1972)، ص 52.

يشكّل نصّ المتنبّي مادّة نصيّة يتّكئ عليها نصّ أدونيس وينطلق منها في إنشاء المعنى، غير أنّ هذا الاتّكاء لا يتّخذ منحى التّكرار بقدر ما يُدخل النصّ إلى طور الإنتاجيّة والإبداع، فلا يكتفي نصّه بتكرار المعنى، بل يجعل النّصّ اللّاحق ينطق بما لم ينطق به النّصّ الأصليّ، وبذلك يتقنّع أدونيس بقناع المتنبّي، ويضيف إلى ملامحه ويضيف أصواتًا إلى صوته. فتوظيف القناع يؤكّد أنّ التّاريخ ليس أحداثًا ووقائع متراكمة، بل هو تجربة إنسانيّة متعدّدة الجوانب، يتداخل بعضها ببعض[1]، فيتداخل زمان الذّات الشّاعرة عند أدونيس مع زمان الذّات الشّاعرة عند المتنبّي، وهذا، بدوره، يعزّز علاقات التّماهي بين الذّاتين، ويزيد من علاقات التّجاور بين النّصوص، فالخيوط الممتدّة بينهما بيّنة لا سبيل لإنكارها.

يرى الباحث رؤوبين سنير (ولد 1953) أنّ مَن تبنّى الحداثة من الشّعراء العرب لا يكتب الشّعر ليروي أحداث الماضي، فالشّعر الحقيقيّ ليس توثيقًا وتدوينًا، بل يكون استحضارُ أحداث الماضي متّصلًا بهموم الإنسان المعاصر، وبهذا يربط الشّاعر، من خلال نصّه، الماضي بالحاضر والمستقبل.[2] في السّياق ذاته يعدّ الشّاعر أمل دنقل (1940- 1983) العودة إلى التّراث

[1]. انظر البياتي. تجربتي الشّعريّة. (ط 3). (بيروت، 1993)، ص 16.

[2] . انظر سنير، 2002، 106. في سياق متّصلّ يجزم النّاقد رؤوبين سنير بأنّ الأدب العربيّ الحديث كان على وعي بضرورة الالتصاق بالواقع الّذي يعيشه العالم العربيّ بما فيه من تحدّيات كثيرة، فانغماس الأديب في هموم مجتمعه يمثّل الأدب الملتزم الّذي لا يتردّد أصحابه في الالتفات إلى مشكلات المجتمع، وبذلك يتنازلون عن البقاء في "البرج العاجيّ" وبالتّالي يصبح هؤلاء الأدباء بمثابة "المنارة" الّتي يهتدي بها الحائرون وتنقذ المساكين. للتّوسّع في مفهومي "البرج العاجيّ" و "المنارة" راجع سنير 1993. في هذا السّياق لا بدّ لنا من التّنويه إلى موقف جابر عصفور من هذه الإشكاليّة، ففي كتابه **قصيدة الرّفض- قراءة في شعر أمل دنقل** (2017) يدعو إلى "وصل الشّعر بالحياة والتّجارب الفعليّة الّتي يعاينها الشّاعر أو يعانيها، فلا قيمة لشعر لا يبدأ من الواقع الّذي يصدر عنه ليعود إليه، ولا معنى لشعر لا يسلّط بؤرة انتباهه على معنى الحياة الّتي يحياها، باحثًا عن مغزاها ومرماها مؤرَّقًا بأبعادها الإنسانيّة". للاستزادة انظر عصفور 2017، 507.

حالة استلهام تزيد من انتماء الشّعب لتاريخه، بيد أنّه يرى أنّ هذه العودة يجب أن تكون من أجل اختراق الماضي بهدف مواكبة الحاضر وبالتّالي استشراف المستقبل.[1]

على ضوء ما تقدّم يتشابك نصّ أدونيس مع نصّ المتنبّي لا بهدف التّوثيق، بل بهدف تأكيد أنّ زمانه ليس بأحسن حالًا من زمان قناعه ومثاله، إنّ تشابك أدونيس، على مستوى الهمّ، باستياء المتنبّي يؤكّد لنا متانة الصّلة بين الشّاعر الحداثيّ وتراثه، وفي هذا الصّدد يقول أدونيس: "الواقع أنّنا نفهم آثارنا القديمة أكثر من أيّ وقت مضى، والصّلة، اليوم، بيننا وبين أسلافنا جوهريّة لا شكليّة، وعميقة لا سطحيّة".[2]

فليس غريبا أن تلتحم الدّماء المسفوكة مع مقوّمات "الزّمن الهزيل"، وبذلك يتداخل متن أدونيس مع زمن أبي الطّيّب الذي وصفه طه حسين (1889- 1973) بدقة وإيجاز: " ولد المتنبّي في بيئة كان الدّم يصبغها من حين إلى حين، كان الدّم يصبغها ثمّ لا يكاد يجفّ حتى يُسفك دم آخر. ولم يكن الدّم وحده يصبغها وإنّما كان يصبغها صبغ آخر ليس أقلّ نكرًا من سفك الدّم، هو النّهب والسّلب، واستباحة الأعراض وانتهاك الحرمات، والاستخفاف بقوانين الخلق والدّين".[3]

يُحاكَى وصف طه حسين لزمن المتنبّي بصوت النّصّ التّالي حين تصفه الأنا الأدونيسيّة:

هو ذا السّجن والقتل والصّلب، ثالوث هذا
المكان
والزّمان المهرّج المهرجان[4]

[1] . انظر زين الدّين. **أبو الطّيّب المتنبّي في الشّعر العربيّ المعاصر. (**ط 1). (دمشق، 1999)، ص 6.

[2] . انظر أدونيس. **مقدّمة الشّعر العربيّ.** (بيروت، 1971)، ص 136.

[3]. انظر طه حسين. **مع المتنبّي.** (القاهرة، د.ت)، ص 26.

[4]. الكتاب الجزء الأوّل، 157.

ولا يبالغ صوت القصيدة حين تصف الأنا أهل زمانها وتحصرهم بين قاتل ومقتول فقط:

قال صوتٌ لصوتي:

لا أرى فوق أرض قُريش

غير من يَقتلون، ومن يُقتلون.[1]

فالبيئة الزّمانيّة- المكانيّة لا يسودها إلّا القتل، وكأنّ الجوانب الحياتيّة الأخرى تتلاشى وتذوب بين سيف يَقطع وأعناق تُحَزُّ.

فتتفاعل المتون السّابقة مع بيت المتنبّي:

وكنتُ في النّاس في محفل فها أنا في محفل من قرود[2]

إذ يتجاور الصّوتان ويتقاربان ذلك التّقارب الجليّ، وذلك ممّا يجعل المتلقّي يخال الصّوتين يصدران عن ذات واحدة، فالزّمن يرتسم كزمن هزيل لا تعتزّ به الأنا ولا تفتخر، وهو لا يرتقي إلى ما ترتضيه وتبتغيه الأنا الشّاعرة، هو زمان السّجن والقتل والصّلب، أي زمن السّيف الذي يمثّل البطش، وزمن الأعناق التي تُحَزُّوقد طالها الظّلم وأعياها، وهو زمن التّهريج، وما التّهريج، في نصّ أدونيس، إلّا ترجمة لمحفل القرود في بيت المتنبّي.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ أدونيس جعل المعنى في بيت المتنبّي طيّعًا لأسلوبه ولغته، وبذلك يتّسم تناصّه بسمة الإبداع والإنتاجيّة، وهذا يحيلنا إلى نظريّة باختين القائلة باستحالة موت النّصّ الأدبيّ، فهو عصيّ على الموت إذ يتمتع بقابليّة التّجدّد دائمًا. سيّما وأنّ منظومة احتواء النّصّ الحاضر لنصوص سابقة وتحويلها إلى عناصر جديدة كفيلة بإحياء النّصّ من جديد، وسط منحه هويّة خاصّة به، وذلك ما قصده النّاقد باختين بمبدأ الحواريّة بين النّصوص قديمها وجديدها.[3] يبلغ استياء أنا المتنبّي ذروته حين يصف الأمم كقطعان من الغنم تأتمر بأمر عبدٍ يسودهم ويطيعونه:

---

[1]. الكتاب الجزء الأوّل، 254.

[2]. ديوان المتنبّي الجزء الأوّل، 49.

[3]. انظر باختين. **شعريّة دستوفسكي**. (الدّار البيضاء، 1986)، ص 22.

بـكـلّ أرض وطـئـتُـهـا أمـمٌ تـرعى بـعـبـدٍ كـأنّـهـا غـنـمُ[1]

والإشارة في البيت إلى سلطان العبيد الأتراك الذين استحكموا في قصور الخلفاء فدانت لهم الرعيّة وخضعت مغلوبةً، بيد أنّ صوت البيت يدعو إلى الثّورة والتّمرّد، لكنّ الصّوت يبقى فرديًّا فالأمم كالأغنام تطيع ولا تثور أو تتمرّد، وممّا لا شك فيه بأنّ هذا البيت إنمّا يتجانس مع أصوات المتون السّابقة، سواء كانت من نتاج المتنبّي أم أدونيس، فالزّمان يتوحّد عند الشاعرين، وهو، بتدهور أوضاعه، ممّا يزيد من قلق الأنا واضطرابها ويغذّي نار ثورتها ونزوعها إلى التّمرّد بغية تبديل الأحوال.

ويجد "مفهوم القطيع" سبيله إلى نصوص أدونيس "الكتابيّة"، وبذلك، يتماهى صوتها مع صوت المتنبّي المضجّ والغاضب في أبياته عامّة وفي الموضع السابق خاصّةً، فالمتنبّي يضيق ذرعا بناس زمانه وقد أصبحوا قطعان غنم، تقول الأنا الشاعرة في الكتاب[2]:

أنت العائش في إصطبل
لخليفة هذا العالم،
تتمسّح بالجدران والعتبات، وتحني رأسك
خوفًا
أو تحني طمعًا
أو تحني ذلًّا.

[1]. ديوان المتنبّي الجزء الأوّل، 88.

[2]. الكتاب الجزء الأول، 63.

ويتقاطع النّصّان في عدة محاور تجمع بينهما، وذلك ممّا يؤكّد علاقات التّماهي بين الذّاتين في موقفهما من زمنهما، فالزمن، عند الشاعرين، زمن واحد تتداخل فيه التفاصيل وتتشابه.[1] الأمم، في المتنين، مجرّدة من مواصفات الإنسانيّة: فهي، عند المتنبّي، تشبَّه بالغنم، أمّا عند أدونيس فالفرد، وهو ممّا نراهُ تمثيلًا للهويّة الجمعيّة، يعيش في إصطبل وقد روّضته ممارسات السلطة وجعلته مطيعًا ينحني خوفًا أو طمعًا أو ذلًّا. في الحالتين تبدو المجتمعات، كهويّة جمعيّة وكسياقات فرديّة، كمن تجرّد من إنسانيّته وعطّلها لتدخل في معادلات الخنوع والخوف والذّل راضخةً ولا تسعى إلى رفع صوتها في وجه الظالمين، بل تخضع وتسلم رقابها لسيّاف يتمتّع بمحو الإنسان لذاته.

ونلحظ أنّ في نصّي الشاعرين غضبًا لا على الرّاعي فقط، بل على الرّعيّة في الأساس، ونلمح رغبة النّصّين في أن يكتسبا مواصفات النصّ التّثويريّ الذي يحثّ على التمرّد، وبالتّالي تبديل الأحوال، فالقصيدة ليست عملًا فنّيًّا فقط، بل هي وسيلة الشّاعر لتغيير العالم[2]، بيد

[1]. يرى النّاقد أبو ديب أنّ التّعاطي مع نصوص الكتاب يستدعي إبطال معايير الزّمن العضويّ بمفهومه التّسلسليّ، فقراءة الكتاب، عنده، تتطلّب إذابة الحدود الزّمنيّة بين عصر أدونيس والمتنبّي، وبالتّالي التّعامل مع زمن الأنا كزمن واحد يجمع بين الذّاتين في المحاور التي تجمع بينهما وسط تداخل التفاصيل وتقاطعها وتشابهها. (أنظر أبو ديب 1997، 214-215).

[2]. انظر Wardeh 2010, 195. وفي السّياق ذاته نشير إلى اعتبار سلمى خضراء الجيّوسي الشّعر الحديث نبوءة تدعو إلى إحداث تغييرات جذريّة في جميع المرافق الحياتيّة، ومن هذا المنطلق تعتبره جزءًا من الثّورة الّتي تبشّر بواقع فكريّ حداثيّ. للاستزادة راجع Jayyusi, 1977, 49-50. تجدر الإشارة إلى أنّ لأدونيس رايًا آخر في هذه المسألة، فالشّعر، في اعتقاده، ليس قادرًا، وحده، على إحداث الثّورة كما ترى الجيّوسي، فالثّورة، من منظوره، تبدأ في تغيير البنى الاجتماعيّة والسّياسة والثّقافية في المجتمعات العربيّة، أمّا دور الشّعر في هذه المعادلة فيكمن في دفع النّصّ الشّعريّ للقارئ إلى إيجاد علاقات غير معهودة بين الكلمات والواقع المحيط به، وهذه العلاقات من شأنها توفير الأرضيّة للانطلاق في خلق تصوّر جديد للعالم. للاستزادة في هذا المضمار، راجع مقابلة جريدة الجارديان البريطانيّة مع أدونيس، راجع Jaggi, 2012:

أنّ مقوّمات الثّورة ليست متوفّرة عند "قطعان الغنم" أو عند "العائشين في إصطبل الخليفة"، ولعلّ غياب بوادر التّغيير هي ممّا يؤجّج نار الغضب عند الشاعرين، فباتت نبرتهما حادّة تماشيًا مع الاستياء من خمول المجموع وانطوائه ضمن معادلات الهزيمة والخنوع والذّل والجبن.

ولا يغيب عنّا أنّ اتّخاذ الأنا الشّاعرة موقف الاستياء من مجتمعها المهزوم يخدم مشروع تعظيمها لنفسها وإعلاء شأنها، فهي خارج معادلات الانصياع للحاكم، وحين تستاء من أهل زمانها تنعزل عنهم وتتفوّق عليهم، وبالتّالي ترتضي لنفسها أن تحلّق في مساحات أخرى غير مساحات الانهزام، ومتى انعزلت الأنا عن سياقات مجتمعها ازداد إحساسها بالاغتراب الدّاخليّ، وتصبح الفردانيّة خيارها الوحيد فليس بإمكانها أن تنسجم مع مشاهد زمانها فهي تنشد زمانًا آخر، زمان الانعتاق من وطأة العبوديّة وتعطيل الإنسان لإنسانيّته وانتقاله من طور الانهزام إلى حالة الثّورة والتمرّد.

واكتفت أنا المتنبّي بتشبيه المجموع بالغنم ولم تتجاوز ذلك إلى تثوير أهل زمانها، وإن كنّا نستشعر ذلك بين سطور قصائدها، أمّا أدونيس فأردف متنه الشّعريّ بمتن محرّض وحاثّ على الثّورة، وجعله في نفس الصّفحة وكأنّ ما يعيشه المجموع يجب أن يولّد ثورة لا تحتمل التأجيل بل تستدعي التعجيل بغية الخلاص من وطأة الظّلم والهوان. تقول الأنا بعد أن بلغ استياؤها من مجتمع الإصطبل ذروته:[1]

رحم المعصية
تتموّج، تدخل في عيدها، _
هيّئوا الأغنية.

https://www.theguardian.com/culture/2012/jan/27/adonis-syrian-poet-life-in-writing (تاريخ الدّخول: 2017/5/5)

[1]. الكتاب الجزء الأول، 63.

تتماهى أنا أدونيس مع أعباء أهل زمانها وتتفاعل مع هموم الأفراد وقد بلغوا الحضيض، فباتت تدعو إلى المعصية والتّمرّد، فالمعصية أولى خطوات الثّورة التي تَعِدُ المجموع بعيد التحرّر، وبهذا يتخطّى أدونيس بيت المتنبّي الذي اكتفى بإبداء استيائه من طبيعة أهل زمانه الانهزاميّة دون حثّهم على الثّورة والتّمرّد، في المقابل اختار أدونيس أن يتجاوز ذلك وصولًا إلى تثوير القاعدة الشّعبيّة لتتحرّر من إصطبلها منتقلةً من مدارات الحيوانيّة إلى مدارات الإنسانيّة.

ولا يغيب عنّا أنّ أدونيس يجعل للشعر دورًا مركزيًا في مشروع التمرّد- التّحرّر، فالأغنية-القصيدة ستتوّج الحرّيّة بطعم الانتصار، فمشروع الانتصار ليس بحاصل إن لم تكن القصيدة حاضنةً له مانحةً إيّاهُ لحن الخلود.

الجدول رقم 1 يجمل محاور التّلاقي والتّماهي بين الذّاتين في موقفهما من زمانهما. [1]

وتؤرّق نبرة الغضب والاستياء صوت متون أدونيس وتسيطر على فضاءاتها، وبذلك، نراها رجعًا لصدى غضب أنا المتنبّي وامتدادا له، بناءً عليه تتعاظم علاقات التّماهي والالتقاء بينهما في مواجهة الزمن المرير الذي بات، والحال تلك، ملمحا ثابتا يطغى على شعريّتهما مولّدًا إحساسًا متزايدًا من القلق والحيرة والاضطراب.

تقول الأنا الأدونيسيّة:

زمن تتقدّم أيّام عقربه إليه
في طبول الدم.[2]

هو زمان الدّم المسفوك، زمان الظّلم وسلطانه:

ناياتٌ كُسرَت،

[1] . نظرا لتشعّب حالات التّماهي بين الذّاتين اخترنا أن نجمل الطّروحات المناقشة في جداول توضيحيّة جعلناها في ملحقات المقال، راجع الجدول رقم 1.

[2] . الكتاب الجزء الثاني، 195.

وبقايا أكواخٍ
في كلّ مكان سيّافون وجند.[1]

فكيف للنّاي أن تعزف معزوفة الحياة وليس لصاحبها كوخ يأويه؟ كيف للشّعر أن يجد وطنًا وقد طغى السلطان بسيّافيه وجنده؟ يبدو نصّ أدونيس نصّا يسترجع واقع زمن المتنبّي بملامح الطّغيان التي سيطرت عليه، ونراهُ، من خلال متونه، متحاورًا ومكمّلًا لما جاء في تصوير طه حسين لأوضاع البيئة التي وُلد فيها أبو الطّيّب ونشأ فيها، ولعلّ ذلك ممّا زاد في داخله نار الثّورة التي تمتدّ لصفحات الكتاب لتصبح مرآة لنزعة التّمرّد التي كانت تسري في عروق المتنبّي.

وتحاور متون أدونيس السّابقة أبيات المتنبّي وتتفاعل معها خالقةً مساحةً قرائيّة جديدة تتلاشى فيها حدود الزمان بمفهومه العضويّ لتشكّل زمانا واحدا يقارب بين بيئتين نراهما بيئة واحدة، وليس غريبًا أن نرى مواصفات زمن أدونيس مرآة لمواصفات زمن المتنبّي بما امتاز به من قبح الأيّام التي طغت وسيطرت على ملامحه، يقول أبو الطّيّب:

[1]. الكتاب الجزء الأول، 15. في أجزاء "الكتاب" الثّلاثة يفرد أدونيس صناديق كاملة ومستقلّة لشخصيّات من التّراث العربيّ القديم كانت ضحيّةً ممارسات العنف والاضطهاد في التّاريخ الإسلاميّ، وهو يختار أن تكون أسماء هذه الشّخصيّات عنوانًا لهذه المتون، وفي الغالب هي شخصيّات مغمورة طوتها صفحات الكتب والتّاريخ، وبالتّالي يختار أدونيس أن يحييها من جديد من خلال نصوصه، وعلى سبيل التّمثيل لما تقدّم نذكر بعضًا من هذه النّماذج المستحضرة: توبة بن الحمير (الكتاب الجزء الأوّل، 261) ويزيد بن الطّثريّة (الكتاب الجزء الأوّل، 259). إنّ منظومة عنونة هذه المتون تزيد من صعوبة تعاطي المتلقّي مع عنوان النّصّ، لا سيّما وأنّ استحضار شخصيّات مغمورة من التّراث العربيّ القديم يشكّل عائقًا أمام القارئ، وهذا ما يشير إليه النّاقد إبراهيم طه، لا سيّما وأنّ بعض العناوين تستدعي من المتلقّي ثقافة عالية وتجربة قرائيّة غنيّة وقدرة تحليليّة عالية تمكّنه من فك أكواد العنوان، للتّوسّع في هذا السّياق، راجع Taha 2000, 67. للتّوسّع في مجال العنونة في النّصوص الشّعريّة راجع: Levenstone 1978, pp: 63-67؛ قطّوس 2001.

قـبـحًـا لـوجـهـك يـا زمـان فـإنّـه وجـه لـه مـن كـلّ قـبـح بـرقـع[1]

هو زمان اجتمعت فيه مقوّمات القبح جميعًا، وجاءت متون أدونيس مفصّلةً تفاصيل هذا القبح، وبذلك أَنطَقَت بيت المتنبّي بالصّوت الذي لم ينطق به تفصيلًا بل اكتفى بالتّصريح بقبحه، غير أنّ أدونيس في متونه قد تجاوز بيت قناعه موسّعًا المعنى، وإن كان هذا التّجاوز لا يعني، بالضرورة، غياب التّماهي، فالزّمان واحد وملامحه ذات الملامح، ونجملها كالتالي:

1- زمن هزيل تسود فيه سلطة السّيف ويكثر فيه الظّلم والبطش.

2- زمن الذّبول والانحدار نحو الموت.

3- زمن التّهريج المستصغر والمحتقر.

4- زمن تتحرّك فيه عقارب الوقت في طبول من دم تبشّر بقتل جديد.

تلك هي المعاني التي تُستَشَفُّ من أبيات المتنبّي والتي تمّ تناولها في السّطور السّابقة، وبهذا يكون أدونيس قد اتّخذ أبيات قناعه قاعدةً ينطلق منها نصّه المنشغل بتصوير زمانه وما فيه من قصور وتدهور وانحدار.

ويولّد استياء الأنا من أحوال زمانها إحساسًا بالضيق، ويأتي هذا الإحساس متناسبًا مع سوء الأحوال، فكلّما ازدادت البيئة سوءًا وتدهورًا ازداد الإحساس بالضّيق استحواذًا وسيطرة عند الشاعرين، وكان من الطّبيعيّ، والحال تلك، أن يشغل الإحساس بالضّيق والقلق حيّزًا من صوت الذّاتين، فتقول أنا المتنبّي:

ضـــاق ذرعًـا بـأن أضـــيق بـه ذرعًـا زمـاني واســتكرمتني الكرام[2]

[1]. ديوان المتنبّي الجزء الثّاني، 535.

[2]. ديوان المتنبّي الجزء الأوّل، 164.

وتنشد الذات الشاعرة التحرّر من حدود زمانها الضيّق، فذلك الضيق يقلقها ويجعلها تعاني عذابًا يتلوه عذاب، ويبدو أنّ قدرتها على التحمل تتلاشى تدريجيًّا وصولًا إلى مرحلة إعلان الرغبة بالبراءة منه، ولا يتردّد النصّ حين يُظهِر الأنا فوق زمانها ومكانها، وغالبًا ما يبدي الإنسان تهيّبه أمام الزمن، غير أنّ تفاصيل المعادلة تحتّم على الأنا التّعالي على المعادلات المألوفة التي تقتضي أن يهاب الإنسان من زمانه ويخاف من شرّ أيّامه، فلا تتوانى الأنا الشاعرة حين تتعالى على عصرها وحين تضيق ذرعًا بضيق حدوده، وهي المتوثّبة صاحبة الهمّة العالية التي تخترق تلك الحدود فتبحر في فلك آخر، فالمكارم تنتظرها في زمن آخر يتخطّى مساحة القصور الراهنة.

ويمتدّ الإحساس بالضّيق إلى نصوص أدونيس "الكتابيّة" مكمّلًا، بذلك، معادلة التماثل مع مثاله من جهة، ومعبّرًا عن مرارة العيش في زمانه

لا أحيا ... في هذا التّاريخ، ولا أتشّرد فيه
إلّا كي أخرج منه.[1]

والرّغبة في الخروج من حدود هذا التّاريخ- الزّمان تتقاطع مع ضيق المتنبّي بزمانه ورغبته في تخطّيه وتجاوزه. فيبدو الزّمان، عند الشّاعرين، مساحة مؤقّته تهدف الأنا إلى عبورها وصولًا إلى ما بليق بها وبعلوّ همّتها، فأنا أدونيس مدركة بأنّها تعيش تجربة التّشرّد في زمانها لكنّها على ميعاد مع الخروج من ضيق مساحاته، فكان لا بدّ من التّضحية بغية تحقيق المراد والخلاص، والمنحى ذاته نجده في بيت المتنبّي الذي يضيق ذرعا بسوء أحوال زمانه، لكنّه على وعي بأنّ موعده مع المكارم آتٍ لا محالة. فتطغى الذّاتيّة على نصيّ الشّاعرين ونرى الأمر طبيعيّا ما دمنا نتعاطى مع إحساس ذاتيّ وتجربة شخصيّة تعيشها الذات المخنوقة بحدود زمانها، تبيت سيطرة ضمير المتكلّم سمة أساسيّة في تشكّل صوت النصّين في ظلّ وطأة الضّيق التي تسيطر على النفس المأزومة. بناء على ما تقدّم تزاد نقاط التقاء أدونيس بالمتنبّي في عدة محاور لا تقتصر على مستوى السّيرة الذّاتيّة فحسب بل تتعدّاه إلى المتن الشّعريّ، ونراها

[1]. الكتاب، الجزء الأوّل، 74.

مساحة التقاء بين الذّاتين في المساحة الضّبابيّة ما بين محطّات السّيرة وما بين ما تفرزه من نصّ شعريّ. كما نرى أنّ توظيف ضمير المتكلّم في السياقات السابقة يخدم مشروع الذات في تعظيم شأنها وإعلائه، فهي دائبة بصوتها إلى إفراد نفسها وفصلها عن المعادلات المألوفة المحيطة بها، وهي معادلات لا ترتضيها ولهذا لا تنطوي ضمن معادلات المجموع بل تنأى عنها مستعينةً بتوظيف ضمير المتكلّم ليكون وسيلة كتابيّة تُبرز فردانيّة الأنا وانعزالها، وذلك، بدوره، يصبّ في خدمة مشروع الأنا في بروزها وتميّزها.

ولا تكتفي الأنا بالتّعبير عن استيائها من أحوال زمانها، أو بنقل ما تعيشه من ضيق إزاء تدهوره، بل تتعدّى ذلك إلى حالة الثّورة وصناعتها:

فردًا، من اين لفردٍ أن يصنع ثورة
إلّا في كلمات، في أوراق؟[1]

فلو كانت الثورة جماعية لفقدت الأنا من رونق فردانيّتها، ولكانت مجرد صوت كباقي الأصوات المجتمعة فتفقد خاصيّتها، ولعلّ المجموع يرضى ويرضخ أمام زمانه بسوء أحواله، ولا يليق بالأنا أن تنطوي ضمن هذه المعادلة، بناءً عليه يعلو صوتها فرديًّا فيكون لسان المتكلّم وسيلتها لإبراز فردانيّتها من جهة، وإبراز عمق معاناتها من جهة أخرى.

ويلمح قارئ المتن صوت الخيبة في ثناياه، فالذّات لا تبدو واثقة من قدرتها على إحداث التّغيير على الرّغم من رغبتها فيه، فأدونيس يعي محدوديّة الشّعر في مشروع التّغيير، ولذلك يفرض الاستفهام البلاغيّ نفسه على النّصّ ليؤكّد هذه المحدوديّة. وفي هذا السّياق لا بد لنا من الالتفات إلى جدليّة علاقة الشّعر بالواقع ودوره في إحداث التّغييرات الاجتماعيّة والإنسانيّة، ونستحضر ما توصّل إليه النّاقد رؤوبين سنير مشيرًا إلى الشّاعر العراقيّ البياتيّ كنموذج تمثيليّ لانسحاب الشّاعر من مساحة مُحدِث التّغيير في مجتمعه، وهو يرى أنّ هذا الانسحاب بدأ في أواخر السّتّينات وامتدّ حتّى أواسط السّبعينات[2]، وها نحن نرى نبرة

[1]. الكتاب الجزء الأوّل، 293.

[2]. انظر سنير 1993، 50.

الانسحاب تمتدّ إلى نتاج أدونيس في أواسط التّسعينات. فيبدو لنا، بعد المقاربة بين الذّاتين، أنّ المناخ المسيطر هو ذاته رغم مرور ما يزيد عن عقدين ونصف من الزّمن.

ولا يغيب عنّا ما في النّصّ من خيبة أمل من المجموع العاجز عن إحداث التّغيير والنهوض في مسارات الثّورة، ففي غياب الصوت الجمعيّ تصبح إمكانيّات الفرد/ الشّاعر محدودة في ظلّ خمول الآخر والآخرين، ولعلّ ذلك ممّا يعزّز الإحساس بالفردانيّة في ظلّ غياب القواسم المشتركة التي تجمع الأنا مع مجموعها الذي يشكّل الهويّة الجمعيّة للبيئة الزّمانيّة- المكانيّة التي تعيش فيها الأنا ناشدةً الخلاص منها.

يستصغر أدونيس شأن زمانه في مؤلّفاته السابقة ل "الكتاب" فتصوير الزمان بصغر شأنه من المعاني المتكرّرة في أعماله الشّعريّة، ونستحضر في هذا السّياق مقطوعة شعريّة من ديوانه **أغاني مهيار الدّمشقيّ** تجسّد موقفه حيال زمانه:

تعبت عيناه من الأيام
تعبت عيناه بلا ايّام
هل يثقب جدران الايّام
يبحث عن يوم آخر-
أهنا أهنالك يوم آخر؟[1]

فالمقطوعة منصّة لدواخل النّفس المفجوعة بأيّامها التي تضنيها وتتعبها وتجعل الأنا في بحث دؤوب عن فجر جديد وعن دروب خارج شرائع العاديّ والمألوف، فتنزع الذات إلى يوم جديد بغية الخلاص من واقعها الراهن[2]، بيد أنّ النّصّ يشي بسوداويّة المشهد فليس في الأفق يوم جديد/ واقع جديد ومغاير، فلسنا غافلين عمّا شُحن به الاستفهام البلاغيّ الذي

[1]. انظر أدونيس 1970، 149.

[2] . يتطرّق النّاقد شـموئيل موريه إلى المعايير الّتي يضـعها أدونيس من أجل تحقّق مشـروع الخلاص وهي: الحرّيّة، الرّؤيا، والحدس، بيد أنّ مشـروع الخلاص مشـروط باسـتمراريّة الثّورة الّتي يجب أن تُصـاحب بالإبداع والتّجدّد. للاستزادة انظر Moreh 1988, 154.

ينهي المقطوعة بسؤال نفيٍ وكأنّ صوت أدونيس يقول: لا، ليس هنالك يوم آخر، وممّا نراه أنّ نصّ أدونيس "الكتابيّ" الغاضب والناقم على زمانه هو امتداد لموقف الاستياء الذي بدأت براعمه في التّكوّن في **أغاني مهيار الدّمشقيّ** (1961) مرورًا بالمؤلّفات التي تلت ذلك الدّيوان وصولًا إلى صفحات "الكتاب" بأجزائه الثلاثة (1995- 2002).

وعلى ضوء ما تقدّم تتّضح ملامح موقف أدونيس من زمانه، ولعلّ أهمّها الثبات في ذلك الموقف الممتدّ على أربعة عقود من الزّمان، ونرى أنّ هذا الموقف الثابت مما يتداخل مع موقف المتنبّي من زمانه ويتقاطع معه جاعلًا القارئ يعيش حالة قرائيّة تأبى الفرز والفصل بين الشّاعرين دافعةً قارئ "الكتاب" إلى اتّباع تقنيّات قرائيّة استكشافيّة لم يألفها في قراءاته السّابقة، لا سيّما وأنّ التّعاطي مع "الكتاب" لا يقبل التجزئة بين شاعرين فصلت بينهما قرون من الزمن بمفهومه العضويّ لكن جمعت بينهما ظروف وهموم جعلت زمان الشعر يذيب ويغيّب الحدود موحّدًا الذّاتين في فضاء واحد.

واستنادًا لما تقدّم يتّخذ خطاب ادونيس في "الكتاب" ديناميكيّة مزدوجة من علاقات التّناصّ والتّداخل:

1- يتفاعل أدونيس ويتّكئ على معانيه السّابقة ويستحضرها في طور بناء نصوصه الجديدة ويتّخذها ركيزة يقوم عليها الصّوت الجديد الذي يشكّل امتدادا للصّوت القديم.
2- تنفتح نصوصه على نصوص المتنبّي وتحاورها وتتفاعل مع مضامينها وتنطلق منها، كما تتداخل مع السّياقات التّاريخيّة التي وثّقت سيرته.

وتقتضي العلائق السابقة موضعة النصّ الحاضر في ترتيبه التاريخيّ كشرط أساسيّ في تتبّع تشكّل المعنى[1] وفهمه بالتالي تبعًا لأهمية أثر السابق في اللاحق. ونرى أنّ نصّ أدونيس يحسن الإفادة من كونه نصًّا لاحقًا إذ تُتاح لها فرصة محاورة السّابق والتّمعن فيه وبالتّالي الزيادة عليه وفقًا لما تراه الأنا خادمًا لأجندتها ومضمونها.

[1]. انظر Wallace 2006, 47.

موقف الأنا الأدونيسيّة من زمانها موقف ثابت لا يتغيّر وقد رأينا ذلك من خلال نصّين تفصل بينهما أربعة عقود من الزّمان. في المقابل نستطيع أن نشير إلى ثلاث محطّات رئيسيّة تجسّد ماهيّة علاقة أنا المتنبّي مع زمانها، ونصنّفها كالتّالي:

1- الفترة السّابقة لاتّصاله بسيف الدّولة الحمدانيّ، وفيها استصغر أبو الطّيّب شأن زمانه وذمّه وكان هذا المعنى من المعاني المعادة في قصائده.
2- الفترة التي عاشها المتنبّي في حضرة سيف الدّولة ودامت تسع سنوات اعتُبرت عهده الذهبيّ على الأصعدة جميعها، وفيها يهادن المتنبّي زمانه ولا يذمّه.
3- الفترة التي أعقبت رحيله من حلب إلى مصر بعد أن نجح الحسّاد في مساعيهم في التّفريق بين الحاكم وشاعره، وفي هذه الفترة يعود المتنبّي إلى سابق عهده من ذمّ الزمان.

ولنا قولنا في تفسير ذلك التّذبذب في موقف أبي الطّيّب من زمانه، فنصّه في بلاط سيف الدّولة يكتسب سمات النّصّ المشارك في صنع القرار وصياغة الواقع، فالنّصّ مجاور للسّلطة المتمثّلة بسيف الدّولة فهو شاعر الحاكم ورفيقه، وقد تبوّأ دور المستشار عنده في مواقف عديدة، زد على ذلك أنّ سيف الدّولة كان محبًّا للعلم داعمًا لمجالسه وأربابه، وليس بغريب ان تتحوّل حلب في عصره إلى مركز فكريّ يجذب أهل العلم والأدب مؤسّسًا مكتبة غنيّة[1] يُروى أنّها كانت تحتوي على عشرة آلاف مجلّد[2]، تبعًا لذلك كان من الطبيعيّ أن تغيب ملامح التذمر عن متون قصائده، فقد كان مشغولًا بوصف بطولات الأمير الحمدانيّ والتي شارك فيها كمقاتل لا كشاعر فقط، كما كان هانئًا بنِعَمِ بيئة تعزّز شأن الشّعر والشّعراء، وفي ظلّ هذه الظّروف لا نتوقع أن تكون نبرة نصّه نبرة التّذمر والاستياء.

[1]. عُرف المتنبّي، منذ صغره، بحبّه للعلم والأدب فلزم أصحابهما، كما أكثر من ملازمة الورّاقين وأقبل على دفاترهم ونهل منها المعرفة. في هذا السياق راجع وصف البديعيّ لحداثة أبي الطيّب وشغفه بالعلم حسبما ورد في **الصبح المنبّي عن حيثيّة المتنبّي** (20- 21).

[2]. انظر بلاشير. (ترجمة إبراهيم الكيلانيّ). **أبو الطّيّب المتنبّي**. (دمشق، 1985)، ص 185- 186.

يلتفت محمود شاكر[1] إلى التغيّر الطّارئ على بنية قصيدة المتنبّي بعد اتصاله بالحمدانيّين، مقارنًا بين مبنى القصيدة قبل هذا الاتّصال وبين طبيعتها بعد أن أصبح شاعر بلاطهم، فقد اعتاد أن يفتتح قصائده بمدح نفسه وتعظيم شأنها وتمجيدها منتقلًا بعد ذلك إلى إبداء رأيه بأمور الدّنيا، فتصبح الأبيات منصّة لروح الثّورة والتّمرّد التي تستوطن قلبه وضميره، ثمّ تطغى ألفاظ التهديد والوعيد على الأبيات لتنقل ما في نفسه من غضب واستياء ممّا يحيط به من أسباب الانحطاط والتّدهور. يتبدّل نهج المتنبّي في بناء قصيدته وإنشائها بعد اتّصاله ببني حمدان فالأبيات تُكرَّس لمدحهم وتعظيم مكانتهم وإبراز علوّ همّتهم وتبيان ما هم عليه من مروءة وسماحة، وما عادت أنا المتنبّي منشغلة بذاتها كسابق عهدنا بها، فلا تراه يذكر نفسه إلّا حين تشتدّ عليه مساعي الحسّاد والمبغضين الهادفين إلى إفساد أجواء التناغم بينه وبين ممدوحيه من أهل الحكم والسّلطة.

يأتي معرض حديث النّاقد محمود شاكر معزّزًا لما عرضناه عن تحوّل المتنبّي من موقف الاستياء والغضب من الزّمن إلى موقف الرّضا والمهادنة مع أحوال زمانه، مقابل ذلك يبتعد خطاب أدونيس في الجزء الثاني من "الكتاب" عن خطاب مثاله، علمًا بأنّ الجزء الثاني منه يواكب فترة المتنبّي في قصر سيف الدولة، فهو يبقى على موقفه من الزمن بسوء أحواله، وبذلك يبتعد عن صوت قناعه ويعارض منحاه، وتبقى إمارات الاستياء مسيطرة على النصّ الأدونيسيّ، فيما يتّخذ نصّ المتنبّي المهادنة مع الزمن طابعًا يميّزه في تلك الفترة.

يُدخِلُ موقف أدونيس المغاير لقناعه علاقة التماهي طورًا جديدًا، فتخرج الأنا على مثالها، وإن كانت، في معظم المواضع مجاورةً له، وممّا لا شكّ فيه بأن هذا الخروج يزيد من دراميّة نصوص "الكتاب". ولنا ما نقول في تفسير هذا الاختلاف والتباين بين الذاتين: نرى أنّ أدونيس يرفض موقف المهادنة مع الزمن الذي تبنّاه المتنبّي لكونه ينبع من اقتراب الأنا الشاعرة من السلطة، وما دام الأمر كذلك فسلطة الشّعر تصبح في نطاق سلطة الحاكم وتدور في فلكها،

[1]. انظر شاكر. **المتنبّي**. (القاهرة، 1977)، ص 183.

ومهما أبدى المتنبّي إكبارًا لسلطة الشّعر فإنّه، في نهاية المطاف، يُخضع نصّه لآنيّة الظّروف الّتي يشكّلها الحاكم بسلطته.

وندعم رأينا هذا بالتّساؤل: إن لم يكن المتنبّي في تلك الفترة في حضرة وكنف سيف الدّولة، هل كان موقفه من الزّمن مغايرًا؟ ونعزّز قولنا من خلال متابعة التّغيّرات الحاصلة على موقفه من الزّمن بعد مغادرة حلب، فما إن ترك بلاط سيف الدّولة حتّى عاد ليعادي الزّمن ويذمّه، وبذلك ينقضي عهد المهادنة بانتهاء عهد مصاحبة الحاكم، وليس هذا ممّا يتماشى مع طرح أدونيس الفكريّ. فالشّعر، عنده، أبعد عن التحزّب والانحصار في ظرف زمانيّ- مكانيّ يحدّ الكلمة من التّشكّل في آفاق من الحريّة، وليست الكلمة مرهونة بالالتزام بسلطةٍ أيًّا كانت.[1]

واستنادًا لما تقدّم تأتي معارضةُ صوت أدونيس لصوت قناعه امتدادًا لتنظيره وفكره، فلا يتغيّر موقف الأنا من زمانها في متون "الكتاب" بأجزائه الثلاثة، فيما تُهادِن أنا المتنبّي زمانها وتتصالح معه لمدّة تسع سنوات، ثمّ تعاود معاداته بعد انقضاء العهد الذّهبيّ في حلب، وكأنّ صوت أدونيس هو صوت المعاتبة والمحاسبة لأنا المتنبّي، صوت المساءلة: كيف أخضعتَ نصّك لأهواء الرّضا، مع العلم بأنّ نصّك دائم التّوثّب وبعيد أشدّ البعد عن الرّضا والقناعة؟!

نقول ذلك ونحن على وعي تامّ باختلاف مقوّمات الشّعريّة بين شاعرين فصلت بينهما قرون من الزّمان، وليس من المنصف أو المقبول أن نتعاطى مع الشّاعرين بنفس أدوات النّقد، لكنّنا ندرك أيضًا أنّ أنا المتنبّي، بقربها من الحاكم، قد أدخلت نصّ أدونيس طور الخروج والثّورة، لا سيّما حين يتعلّق الأمر بإخضاع سلطة الشّعر لأي سلطة أخرى.

الجدول رقم 2 يبيّن التغيّر الذي طرأ على موقف الذّاتين من الزّمن، وفقًا لتبدّل الظّروف وتغيّر الأحوال.

[1]. انظر أدونيس. **النّصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة**. (بيروت، 1993)، ص 200.

تجربة الغربة في الصّوتين:

تشكّل الغربة موضوعًا متكرّرًا في شعر أدونيس[1] عامّةً وفي "الكتاب" خاصّةً، كذلك اهتمّ باحثو المتنبّي سيرةً وشعرًا بذلك الجانب[2]، وقد ارتأينا بحث محاور التّلاقي بين الذّاتين في غربتهما وتجسّدها في شعرهما، ولسنا نخال البحث متكاملًا دون تناول هذا المحور تناولًا أكاديميًّا، سيّما وأنّ تجربة الغربة من أبرز محاور التّماهي بين الذّاتين كما سنبيّن في صفحات هذه الورقة. نجد الإحساس بالغربة قد فرض نفسه على أبيات المتنبّي وهو في مرحلة الصّبا:

ما مقامي بأرض نخلة إلّا كمقام المسيح بين اليهود[3]

أنا في أمّة تداركها الله غريب كصالح في ثمود[4]

[1]. سُبق هذا البحث باطّلاع على نتاج أدونيس الشّعريّ والتّنظيريّ، وقد رأينا من خلال القراءات المتمعّنة أنّ هاجس الغربة حاضر في العديد من أعماله الشّعريّة السّابقة ل "الكتاب"، ونرى أنّ دراسة تجربتيّ الغربة والاغتراب باتت ضرورة ملحّة في غياب الدّراسات التي تُعنى في هذا السّياق، علمًا بأنّ الكثير من الباحثين قد تناولوا هذا الجانب من شعره في معرض دراسات عامّة وشاملة تطرّقت إلى مناح متنوّعة من شعره. نذكر من بين هذه الدّراسات: "أدونيس ومغامرة الكتاب" 1997، ومقالة "هو ذا الكتاب" 1997، و"تحرير المعنى: دراسة نقديّة في ديوان أدونيس الكتاب" 1997. للاستزادة حول الاغتراب في الأدب الحديث انظر Saleem 2014, 67-76؛ عبد المنعم 1985؛ راضي 1999؛ رجب 1986؛ الجبوري 2008: بدوي 1998.

[2]. من بين الباحثين نذكر كتاب المستشرق بلاشير عن المتنبّي، كما نشير إلى كتاب محمود محمّد شاكر "المتنبّي" الذي تطرّق في بعض صفحاته إلى غربة الشّاعر لا سيّما حين صوّر البيئة التي نشأ فيها ومحطّات ترحاله، زد على ذلك دراسة الباحث صالح زامل بعنوان **"تحوّل المثال: دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبّي"** 2003، كما تطرّق الباحث محمّد شرارة إلى هاجس الغربة عند المتنبّي في كتابه **المتنبّي بين البطولة والاغتراب** (1981).

[3]. ديوان المتنبّي الجزء الأوّل، 16.

[4]. ديوان المتنبّي الجزء الأوّل، 18.

البيتان من أوائل الأبيات التي أنشأها أبو الطّيّب، والصوت فيهما هو صوت الشّكوى من ظروف أحاطت بالشّاعر الشّاب وجعلته يتبنّى المنحى الانعزاليّ في بناء نصّه، ولا يتردّد في التّشبّه بالأنبياء، وتوظيف هذا التّشبّه في بناء المعنى وتشكّله، ولا يتهيّب من ذلك، فالنّبيّان مستحضران في قصيدة واحدة يفصل بينهما سبعة عشر بيتا فقط، فمن الواضح أنّ المتنبّي ليس متهيّبا من التّشبّه بالأنبياء ولو كان كذلك لاكتفى ببيت واحد، بيد أنّه استحضر المسيح وصالحا بعد أن ألحّ عليه الإحساس بالغربة، فبات من الضّروري توظيفهما في إصدار الشّكوى والتّعبير عنها.

يعبّر البيتان عن تجربة الغربة التي استحكمت في نفس الشّاعر في حداثته، والمعلوم لدينا أنّ المناخ العامّ السّائد في الكوفة كان له أشدّ الأثر في تغذية شعوره بالغربة، "كان هذا الفتى (المتنبّي) يمشي في نواحي الكوفة بآلامه وأحقاده وفقره، ويتنقّل في حوانيت الورّاقين يقرأ ما يقع بين يديه من الكتب، ويختلف إلى مجالس الأئمة يستمع العربيّة والفقه والجدل، وينظر متعجّبًا إلى الحوادث التي تقع بين ظهراني قومه، ويتسمّع لما ترد به الأنباء من أخبار الدّولة المترامية الأطراف، يضحكه ما يقع من الأحداث العجيبة التي ترفع وتضع ما بين عشيّة وضحاها".[1] أفرزت هذه الظّروف إحساسا متزايدًا بالاغتراب داخل البيئة المكانيّة التي تؤطّر مساحات الأنا وتحدّها، وباتت معادلات المجتمع وأحواله محفّزًا يدفع الشّاعر الشّاب نحو التحرّر والبحث عمّا يليق بالشّاعر الطّموح.[2]

يختار المتنبّي اللّجوء إلى حوانيت الورّاقين ناهلًا منها العلم، وتأويه مجالس الأئمّة والفقهاء والعلماء وأهل اللّغة موفّرة له مساحة تعينه على تبديد الغربة التي بلغت ذرواتها في نفس الفتى الهشّ.

تعيش أنا أدونيس حالة الغربة في مداراتها أيضًا، متشابكةً ومتداخلةً مع نظيرتها عند أبي الطّيّب:

[1]. انظر شاكر 1977، 73.

[2]. انظر بلاشير 1985، 57-59.

سيفٌ يدخل في بيعة رمح
رمحٌ مخلوع،
كلٌّ يهذي
وأنا تيهٌ أمشي فيّ ونحوي
أتجلّى حينًا، ورقًا، أخفى
حينًا، جذرًا
كي أستقصي هذا المنفى.[1]

يتقاطع متن أدونيس مع بيتيّ المتنبّي ويحاورهما ناقلًا حالة الغربة وما ولّدته من رغبة في الانعتاق من إسقاطات المجتمع، فحين تعبّر أنا المتنبّي عن اغترابها تختار أن تشبّه نفسها بغربة المسيح بين اليهود، وغربة صالح في ثمود، وفي الحالتين تعيش الأنا في منفًى، وليس غريبًا أن يجد مفهوم المنفى طريقه إلى نصّ أدونيس، ولا تبتعد النّصوص مجتمعةً عن السّطور التي تصوّر حداثة الفتى وصباه، فالذّات تئنّ تحت وطأة أمّتها التي لا تجاريها ولا تتجانس مع رؤاها، فتختار حوانيت الورّاقين ومجالس الفكر لتحتويها، تلك النّفسيّة المسيطرة على نصّ أدونيس أيضًا، فالذّات لا تطيق بقاءً ضمن حدود معادلات السّيف والرّمح، فتختار الانغلاق على ذاتها محافظةً على تيهها ساعيةً لاستقصاء هذا المنفى، كما تختار أن تتجلّى ورقًا وشعرًا، ولا يبتعد "ورق" أدونيس عن ورق الورّاقين على اعتبار أنّها الوطن والمأوى، الأوراق التي احتضنت لبّ الفتى التائه في نواحي الكوفة وشوارعها، ولا يغيب عن القارئ المتمعّن بأنّ بيتيّ المتنبّي مشحونان بأشدّ الرّغبة بالخلاص من الأمّة التي ضيّقت عليه الفضاء فيبيت الخلاص مشروعًا ملحّا.

تُخضِع الأنا الشّاعرة، عند الاثنين، النّصّ إلى ما يستجيب ويتناغم مع أجندتها، فعند الشّاعرين يبرز الإمعان في تقسيم النّصّ إلى كيانين لا يلتقيان: الأنا والآخر، الآخر عند المتنبّي هو الأمّة التي يشاطرها المكان والزّمان رغمًا عنه، وهو لا ينعتها بنعوت ولا يزوّدنا بتفاصيلها

[1]. الكتاب الجزء الأوّل، 35.

لكنّ نصّه يلمّح إلى ما يعانيه منها، في المقابل يكون الآخر، عند أدونيس، هو ذلك المنشغل بالسّيف والرّمح والغارق في الهذيان، أمّا الأنا عند المتنبّي فهي المشبّهة بالأنبياء الذين ذاقوا أشدّ العدوان ممّن أحاطوا بهم، ومتى اختارت الأنا أن تشبّه نفسها بالأنبياء فهي على وعي بتنزيهها لتلك النّفس وقد تعالت على محيطها، وعند أدونيس تبدو الأنا بنفس اللّباس وقد اختارت التّيه مسارًا لها مبتعدةً عن لغة السّيف والرّمح، وبهذا تنزّه نفسها في ذات الموضع الذي يجمعها مع المتنبّي، فالحالة واحدة ودوافعها متشابهة وما يترتّب عنها من نتائج هو مسار الالتقاء بين الذّاتين حتمًا.

واستنادًا لما تقدّم يأتي توظيف الضّمائر عند الشّاعرين متماشيا مع صوت المتون، عندما تكون الشّكوى صادرة عن ذات تعيش الغربة يكون ضمير المتكلّم هو بوقها، وحين تبيّن دوافع الإحساس بالغربة يكون ضمير الغائب والبعيد وسيلة الإشارة إليه وقد سعت الأنا إلى إبعاده عنها وعن مراتب ومعارج تنزّهها.

يختار الشّاعران أسلوب الإخبار وسيلةً لبناء المعنى، ونرى أنّ الإخبار دالّ على ثقة الأنا بمصداقيّة قولها، فقولها نابع من تجارب تتابعت وتراكمت فأفضت بها إلى عالم فسيح من الثّقة فاختارت الإخبار قالبًا محتويًا لمعانيها، كما أنّ الإخبار خير تمثيل لإحساس الأنا في غربتها بين أهلها وفي وطنها.

يرد بيتا المتنبّي، كما أسلفنا، في بداية ديوانه تزامنًا مع حداثته وصباه، ويرد متن أدونيس في بداية الجزء الأوّل من "الكتاب" وهو ممّا يوازي مرحلة الصّبا عند المتنبّي، وذلك ممّا يزيد من علاقات التّجاور بين الذّاتين على مستوى العامل الزّمني، الذي يُضاف، بدوره، إلى العوامل الأخرى التي تشكّل مساحة الالتقاء والتّماهي بينهما.

وتتقدّم الأيّام بالمتنبّي ويتعاظم إحساسه بالغربة وتزداد مشاعر الاغتراب في نفسه تجذّرًا، فيرثي جدّته وهو في بغداد، ولكنّه لا يسمح لنصّه أن يكون مساحة الجدّة المرثيّة فقط بل يُشغِل أبياته بنفسه وقد أحيطت بشدائد عظيمة جعلت تلك القصيدة من أكثر القصائد إشغالًا للقرّاء، يقول:

تغرَّبَ لا مستعظِمًا غير نفسه ولا قابلًا إلّا لخالقه حُكمًا[1]

يفتتح المتنبّي بيته بفعل ماضٍ جعله على وزن تفعّل ناشدًا إظهار التّغرّب كخيار الأنا، فهي التي تختار التّغرّب، فلهذه النّفس دوافعها التي جعلتها تُؤثِر التّغرّب على البقاء في حدود بيئتها، وتبيّن الأنا تلك الدّوافع وهي ممّا يستقيم مع مسارات تميّزها فهي ترحل حفاظًا على عظمتها ورفعة شأنها، فقد كانت ظروف الكوفة أشّد ما يعيق تحقّق رفعة المقام وعظمة الشّأن فيكون الاغتراب وسيلة المتنبّي في تخطّي معيقات مشروعه، ولا تكتفي الأنا في تبيان العظمة والحفاظ عليها كدافع وحيد للتّغرّب بل تؤكّد أنّ النّفس الأبيّة ترفض أن تكون تحت لواء أيّ سلطة أو حاكم يحكمها ويفرض سلطانه عليها، فلا يحكمها إلّا خالقها، في ظلّ هذه الظّروف يصبح التّغرّب خيار الأنا، وتبدع الأنا حين تصوّر التّغرّب كقوّة لا كانكسار وانهزام، فهي سلطانة نفسها وأمرها بيدها ولا تهاب الانطلاق في فضاءات جديدة وغير معهودة.

يتقنّع أدونيس بقناع اغتراب المتنبّي وينطلق منه في إنشاء عدّة متون اغترابيّة في "الكتاب":

لا يقول لهذا الدّم المتململ[2] في
جسمه
المضطرب
غير ما قاله مرارًا: اغترب، اغترب.[3]

وتلحّ الرّغبة في الاغتراب على الأنا وقد توجّعت وغلبها الغمّ في بيئتها، فينزف صوتها بكلّ رغبات الرّحيل والاغتراب، ولا تكتفي في حوارها الدراميّ بتوظيف فعل الأمر مرّةً واحدة بل أتبعته بآخر معبّرة بذلك عن شدّة تضايقها من أحوال زمانها ومكانها فما عادت تطيق بقاءً في حيّزها الذي يرتسم كحيّز يزداد ضيقًا معيقًا شروع الأنا وانطلاقها.

[1]. ديوان المتنبّي الجزء الأوّل، 178.

[2]. التّململ هو التألّم والتّلوّي جرّاء حزن أو غمٍّ وما يقاربهما.

[3]. الكتاب الجزء الثّاني، 35.

تدأب الأنا على تصوير الاغتراب كاختيار الأنا، فهي سيدّة نفسها تتّخذ قراراتها بنفسها شأنها، في ذلك، شأن أنا المتنبّي، وما دامت تختار الاغتراب فهي لا تتهيّب ممّا ينتظرها في مساحاتها الجديدة المنتظَرَة، وذلك يُبرِزُ ما هي عليه من ثقة بنفسها وإمكانيّاتها في تعاطيها مع واقع جديد وغير مسبوق أو معهود تنطلق فيه كي تستقصي منفاها في وطنها وبين أهلها.

يقترب أدونيس من المتنبّي لا على مستوى القيمة فقط بل يحاكي أسلوبه أيضًا مختارًا أن يجعل الفعل في نهاية المتن على خلاف المتنبّي الذي جعل الفعل مطلعًا لبيته، بيد أنّ المتلقّي يدرك أنّ المتنبّي جعل الفعل في بداية نصّه رغم أنّ التّغرّب هو خلاصة تراكمات واصطراع داخليّ اعتمل في دواخله دافعًا الفعل إلى مطلع النّصّ رغم كونه خلاصة كما أسلفنا، في المقابل يختار أدونيس أن يبيّن ما يعتمل في النّفس من لواعج المعاناة بدايةً ثمّ ينهي المتن بالخلاصة التي تتوصّل إليها الأنا ألا وهي الاغتراب، وفي الحالتين تعتبر الذّاتان قرار التّغرّب/ الاغتراب نهايةَ المناجاة الدراميّة التي انتهت في النّهاية في مقام مشترك هو الارتحال.

يتكاتب أدونيس مع بيت المتنبّي في موضع آخر في "الكتاب":

أحيا غريبًا كذئب، لا مقرّ له.[1]

تقارب أنا أدونيس بين واقعها وبين واقع الذّئب في ترحاله وتنقّله، فهي دائمة التّنقّل ولا تعرف قرارًا ومحطّة تقف عندها، شأنها في ذلك شأن الذّئب في ترحاله وتنقّله، ونرى حالة التّرحال، عند أدونيس، متلاحمة مع شبيهتها عند المتنبّي، كما تمتدّ الخيوط بين دوافع الارتحال عندهما، فالمتنبّي يتغرّب لكونه يفتقد نظيره وشبيهه في مجتمعه، وذلك ممّا يؤجّج في قلبه نار الفردانيّة من جهة والنّزوع إلى فضاء جديد لا يشاركه به أحد من جهة أخرى، وتلك هي حال الذّئب الذي يعيش حالةً من الغربة وقد افتقد لمن يستقيم مع مزاياه، فيبيت الارتحال خيارًا له، ولا يبتعد الصّوتان: صوت المتنبّي وصوت الذّئب عن سيرة أدونيس ومحطّات اغترابه: "أدونيس علّمني أنّ طريق الشّعر مفقودة، عليّ اكتشافها باستمرار. وفي

[1]. الكتاب الجزء الأوّل، 181.

أعماله كانت المنافي والغربة والشّكوك والحيرة والفجائع تدلّني، بدورها، على اعتبار الآلام ملازمة لحرّيّتي، شعريًّا وحياتيًّا".[1]

تصبح المنافي والغربة شرطًا من شروط الحرّيّة على المستوى الحياتيّ وعلى المستوى الشّعريّ على حدّ سواء، تلك الحرّيّة التي تتنفّس في فلكها المتون التي تمّ تناولها أعلاه، وهي الحرّيّة الجامعة بين أدونيس والذّئب والمتنبّي في محور واحد يجعل النّصوص متقاربة على صعيد المضمون لا سيّما غياب الاستقرار في الحالات الثّلاث، فالمتنبّي يرتحل من مكان إلى آخر بحثًا عن الفضاء الذي يستجيب لهمّته، وأدونيس يختار الغربة والتّنقّل بين المنافي حفاظًا على حرّيّة الشّاعر والإنسان معًا، أمّا الذّئب فرمز يوظّفه أدونيس في الجمع بين الذّاتين عندما: "يجتمع السّابق باللّاحق حين تتوّحد حالات المنفى الدّاخليّ".[2]

يسيطر مفهوم المنفى الدّاخليّ على نصوص الشّاعرين، غير أنّ الذّاتين لا تبديان الانكسار إزاء سيطرته وطغيانه بل تتّخذانه أرضيّة يُبنى عليها مشروع تميّز الأنا، فالإحساس بالنّفي الدّاخلي المصحوب بالإحساس بالاغتراب في الأهل وفي الوطن يُظهر الأنا بتفوّقها على محيطها فهي فريدة في مساحاتها يعجز الآخرون عن بلوغ مكانتها، بذلك تحوّل الأنا تجربة الغربة إلى منصّة من منصّات تميّزها وتفرّدها.

تبلغ حالة الاغتراب عند أبي الطّيّب أقصى درجاتها في قوله:

وما أنا بالعيش فيهم ولكن معدن الذّهب الرّغام[3]

يحمل صوت البيت رفضًا وإنكارًا للانتماء للمجموع، فالذّات تتّخذ منه موقف النّفور، فهي تنزع نزوعًا واضحًا إلى فصل نفسها عن المساحات التي يشغلها، ولا يتولّد هذا النّزوع، في اعتقادنا، إلّا بسبب تعاظم الاحساس في الغربة واستحكامها في دواخل الذّات الشّاعرة المحاطة بكلّ أسباب الاغتراب الدّاخليّ المتشابك مع المنفى الدّاخليّ.

[1]. انظر بنّيس 1997، 258.

[2]. انظر بنّيس 1997، 268.

[3]. ديوان المتنبّي الجزء الأوّل، 96.

يختار المتنبّي التّشبّه بالذّهب المكنون في التّراب وسيلةً للتّعبير عن أزمته في مجتمعه، فهو ضمن حدود وأُطر مجتمعه لكنّه أعزّ من المجموع شأنًا ومكانةً، شأنه في هذا شأن الذّهب المخلوط بالتّراب، فللذّهب قيمته وبريقه وإن اختلط بالتّراب، وكذلك المتنبّي له قيمته التي تميّزه عن الآخر، وإن كان الآخر مشاركًا له في الزّمان والمكان.

المثير في بناء البيت أنّ المتنبّي يمعن في تصوير اغترابه كمساحة من التّميّز والتّفرّد، فهو لا ينكسر أو يشكو من هذه الوضعيّة التي يعيشها بل يوظّفها في خدمة مشروع التّفوّق، تقوّق الأنا على الآخر، وبناءً على ذلك تأتي معماريّة البيت مستقيمةً مع غايات الأنا، فصدر البيت يبيّن تمزّق الذّات في مشاطرتها الآخر الحيّز المكانيّ- الزّمانيّ فيما يأتي عجز البيت دالًّا على تفوّق الأنا وتعاليها على محيطها، كالذّهب في تعاليه على التّراب الملفاف الذي يحتويه.
يحاكي أدونيس صوت مثاله ويتقنّع به ويتناصّ معه:

آتي أنّني منهم- بشر مثلهم
ولكنّني
أستضيء بما يتخطّى الضّياء.[1]

يجاور أدونيس صوت المتنبّي في تعاطيه مع حالة الانتماء- الانفصال، فأناهُ على وعي بوجودها بينهم فهي "منهم" وأنّها بشريّة الملامح والتّكوين "مثلهم" لكنّها تستضيء بما يفصلها عن المجموع وعن ال "هم"، فلهذه الذّات ضياؤها الذّي لا تدركه عيون الآخر، ذلك الضّوء الذي يُفرِد الأنا يتداخل مع الذّهب المحاط بالتّراب لكنّه يتخطّاه ويعلوه، وكذلك ترى أنا أدونيس الّتي تستضيء وتهتدي بما يتجاوز ضياء المجموع، فتيب الأنا، والحال تلك، في مساحات التّعالي التي تفصلها عن المجموع على الرّغم من وجودها الفيزيائيّ في نفس مساحة الآخر، وبهذا يلتحم صوت أدونيس مع صوت قناعه متماهيًا مع حالة الاغتراب التي تحتلّ فضاء النّصّ عند الشّاعرين، على حدّ سواء.

[1]. الكتاب الجزء الأوّل، 251.

وتتجانس معماريّة متن أدونيس مع معماريّة بيت المتنبّي وتحاكيها أشدّ المحاكاة، فصدر البيت هو مساحة التّعبير عن أزمة الأنا في تواجدها في ذات الفضاء الذي يجمعها مع الآخر، يوازي الصّدرَ عند المتنبّي السطرُ الأوّل في متن أدونيس، فيما يخصّص أدونيس سطره الثّاني بغية إبراز تفوّقه على الآخر محاكيًا تفوّق الذّهب على ترابه عند المتنبّي.

ليس بالإمكان القطع بأنّ أدونيس اختار الاتّكاء الكلّيّ على نصّ المتنبّي والانطلاق منه في بناء متنه، وليس بالإمكان دحض هذا الادّعاء أيضًا، لكنّ المؤكّد والمثبت هو أنّ كليهما يعبّران عن حالة الاغتراب التي بلغت ذروتها فأفرزت وأنشأت نصوصًا اغترابيّة- انفصاليّة توحّد الذّاتين في مضمار واحد يكثر فيه المتشابه ويغيب عنه المختلف، فتصبح الحالة واحدة تنجح في إبطال معايير الزّمن بعضويّته لتولّد حالة يختلط فيها اللّاحق بسابقه مانحًا إيّاه الحياة من جديد بعد أن طوته صفحات الزّمان.

ويتطرّق محمود شاكر إلى طبيعة أبي الطّيّب الانعزاليّة مشيرًا إلى دوافع اغترابه في بيئته: "خالف المتنبّي الأدباء والشّعراء من أهل عصره، فما شرب الخمرة ولا حمل وزرها، ولولا اضطراره فيما نرى لما حضر مجلسها، وكان منصرفًا إلى العلم قارئًا له محقّقًا لدقائقه، طويل النّظر والتّدبّر فيما يمرّ به من أحداث الزّمان.. وكان أهل العصر على خلاف له في ذلك، وخاصّة من انتسب إلى الأدب واعتزى إلى الشّعر، فكان الأدباء والشّعراء أهل شرب ومعاقرة.. فلا عجب إذا عدّه أهل صناعته من الشّعراء والأدباء غريبًا عنه".[1] بيد أنّ هذه الغربة لم تكن عائقًا أمام استثمار الشّاعر الشّاب للحراك الأدبيّ- اللّغويّ المتزايد في الكوفة، حيث استفاد من النّشاط الفكريّ ووظّفه بنجاعة كبيرة في تشكّل شخصيّته الأدبيّة- اللّغويّة.[2]

يُستدلّ ممّا تقدّم أنّ اغتراب المتنبّي نبع من فقده للنّظير والشّبيه في محيطه، ففي غياب المتجانس تشتدّ مشاعر الغربة عليه، وتقوده إلى ميادين العلم التي تصبح الوطن والمأوى للغريب بين أهله وناسه، وذلك، بدوره، يتزامن مع استثماره للنّشاط الأدبيّ واللّغويّ بصورة

[1]. انظر شاكر 1977، 113- 115.

[2]. انظر Larkin 2008, 15.

ناجعة في انطلاقه في تعزيز مهاراته الشّعريّة، وبهذا تكون الغربة قد لعبت دورًا إيجابيًّا يخدمه ويدفعه إلى الأمام.

ينشغل أدونيس بمفهوم الاغتراب في كتاباته الرّاهنة[1]، وفي إحدى مقالاته بعنوان: "موسيقى تعزفها دروب السّفر" يتطرّق إلى مقولة الفيلسوف مونتاني: "دائمًا يحضّنا المكان الآخر على التّفكير"، يحيل هذا الطّرحُ أدونيسَ إلى مقولة أبي تمّام: "اغترب تتجدّد"، فالسّفر، عند أدونيس، شرط من شروط التّجدّد، سيّما وأنّ ثبات الإنسان في مكان الولادة نوع من أنواع الجهل المؤدّي إلى الموت، ففي السّفر ينبش الإنسان الأسئلة التي يطمسها الخوف، بناءً عليه يشكّل التّرحال وطنًا لحيويّة الإنسان، أن تحيا، يقول أدونيس، هو أن تسافر ضدّ اللّغات التي تُفسِد الحياة، ويتعفّن فيها الفكر.[2]

يبدو الاغتراب في فكر أدونيس نهجًا قبل أن يكون ضرورة، فهو ممّا يجدّد في الرّوح حيويّتها محافظًا عليها من الموت في الحياة، والسّفر شرط أساسيّ في محاربة تعفّن الفكر الذي يؤدّي حتمًا، في اعتقاده، إلى الموت، ونرى طرحه هذا متماشيًا مع المواضع التي ناقشناها سابقًا، وتأتي هذه الأجندة متناغمةً مع شعره من جهة ومع شعر مثاله المتنبّي من جهة أخرى.
تعي أنا المتنبّي رفعة شأنها في أهلها وفي وطنها وتدرك أنّ نَفاسَة الذّات كانت سببًا في تغذية شعورها بالغربة في بيئتها:

وهكذا كنتُ في أهلي وفي وطني إنّ النّفيس غريب حيثما كانا[3]

يصدر الصّوت عن ذات قد اعتادت الغربة، فصدر البيت يوحي بأنّ الغربة قد لازمت الأنا طويلًا فهي ليست بالسّياق الجديد عليها، ولا تكتفي الأنا بإبراز تجربة الاغتراب بل تطمح إلى إبراز مسبّبات هذا الإحساس، فالنّفيس بنفاسته وعلوّ شأنه يصبح غريبًا بين أهله وفي حدود

[1]. يكتب أدونيس زاوية أسبوعيّة في موقع جريدة **الحياة**، وتتنوّع كتاباته فيها فمنها ما يتناول الأدب والثّقافة، ومنها ما يتمحور حول الفكر، إلى جانب تطرّقه لأحوال الأمّة العربيّة السّياسيّة.

[2]. انظر أدونيس 2017: http://thaqafat.com/2017/08/84079. (تاريخ الدّخول: 2020/8/21).

[3]. ديوان المتنبّي الجزء الأوّل، 186.

وطنه، خصوصًا حين ينعدم نظيره وشبيهه، فيبيت وحيدًا يبحر في فلكه الواسع وينطلق في مساراته وقد باتت الغربة ترافقه، فللنّفيس ضريبة يدفعها وهي تتمثّل بغربة تتفاقم وتتعاظم مع الأيام شأنها شأن الهوّة الشاسعة بينه وبين محيطه.

يدأب المتنبّي، كعادته في إنشاء نصوصه المتّصلة بالغربة وسياقاتها، على إظهار نفسه كنفس قويّة لا تُهزم أو تنكسر أمام وطأة الغربة وشدّتها، فشكوى الضّعيف تغيب عن النّصّ ويحلّ محلّها إظهار الذّات كذات نفيسة رفيعة الشّأن عصيّة على أن تُشبّه بغيرها، وعصيّة على أن تُجمع بالآخر الذي لا يبلغ مراتب نفاستها ورفيع مكانتها.

يتحاور أدونيس مع اغتراب المتنبّي وما يصاحبه من نفاسة وعلوٍّ في هذا البيت، فتقول ذاته وقد آثرت الاغتراب:

شهواتي
أن أظلّ الغريب العصيّ،
وأن أعتق الكلمات من الكلمات.[1]

تشتهي الأنا أن تبقى غريبة، ففي الاغتراب عن الآخر تأكيد رفعة الشّأن والنّفاسة، ويأتي اشتهاء الغربة، في اعتقادنا، تكميلًا لمشروع الأنا في تبيان ما هي عليه من اختلاف عن المجموع وما يرافقه من تبيان تميّزها وتعاليها عليه، ونرى نبرة هذا المتن كرجعِ صدًى لنفاسة المتنبّي التي خيّمت على صوت بيته، ولا تكتفي أنا أدونيس باشتهاء البقاء في دائرة الغربة عن الآخر بل تشتهي أن تكون عصيّة على النّزول إلى مدارات المجموع ولغته ومفاهيمه، فهي تتمرّد ولا تطيق أن تبقى الكلمات مرهونةً وحبيسةً في منغلقات الجماعة.

[1]. الكتاب الجزء الأوّل، 319.

نشخّص الإحساس بالنّفاسة في متن "كتابيّ" آخر وقد ألحّ على حبر أدونيس:

لبسَ النّور ليحيا في اللّيل بعيدًا،
ولكي يبقى
لا مرئيًّا.[1]

وتختار الأنا النأي عن مجتمعها فهي غريبة ونفسية في ذات الوقت: نفاستها تتمثّل في النور الذي اتّخذته لباسًا لها ليحجبها عن ظلمات المكان والزّمان، وتأتي كلمة بعيدًا دالّة على حالة الغربة التي تعيشها الأنا، فقد اختارت الابتعاد جرّاء تعاظم إحساسها بالغربة فتختار اللّيل مساحة لتحقيق الانفصال، وتُؤثِر أن تبقى لا مرئيّة تماشيًا مع اكتمال مشروع الانعزال الذي يخدم مشروع التّفرّد كما أسلفنا في المواضع السّابقة، ونرى أنّ كلمة النّور تقترب أشدّ الاقتراب من كلمة النّفيس في بيت المتنبّي، كما نراها متحاورةً ومتناغمة مع كلمة العصيّ في متن أدونيس السّابق، فالحالة واحدة في الحالات جميعها، ولا نشكّ بأنّ وحدة الحال هذه قد خلقت مسارات لغويّة يكثر فيها المشترك ويغيب عنها المختلف.

تغترب أنا أدونيس لتصادق النّجوم محافظةً على مكانتها النّفيسة ومعبّرة عن ضيق الوتر أمام نشيدها وصوتها:

للنّجوم الصّداقة (أين البشر؟)
والنّجوم اغترابٌ وشطآن حلم
كي تعود إلى ما تغرّبتَ عنه،
أو لتبدأ ليل السّفر،
هكذا قلتَ، واخترت عائلة من شرر،
هامسًا للنّشيد الذي يتصاعد من جسد الأرض:
أنت النّشيد الذي ضاق عنه الوتر.[2]

[1]. الكتاب الجزء الثّاني، 36.

[2]. الكتاب الجزء الأوّل، 320.

يتناغم هذا المتن مع الأصوات السّابقة التي تمّ تناولها في هذا الباب سواء كانت من نتاج المتنبّي أم من نتاج أدونيس، ومردّ هذا التّناغم يعود إلى تشابه ظروف الأنا في اغترابها في أهلها وفي وطنها، فهي تُؤثِر أن تصادق النّجوم وبهذا تستغني عن البشريّ، ولا يُعَبَّر عن هذا الاستغناء بواسطة الكلمات فقط إنّما تفرض الأقواس نفسها لتؤطّر كلمة البشر (أين البشر)، ولا يغيب عنّا أنّ وضع الاستفهام بين الأقواس من شأنه أن يحطّ من شأنهم إذا ما قيسوا بعظمة الذّات الشّاعرة المنشغلة، أساسًا، بالنجوم حفاظًا على علوّ المكانة والشّأن، وبهذا يكون النّصّ متكاتبًا مع متون أدونيس السّابقة من جهة، ومع نفاسة المتنبّي التي كان لها الدّور الكبير في إنشاء العديد من متون أدونيس.

وتختار الأنا النّجوم على الرّغم من علمها بأنّ مواكبة النّجوم تؤدّي حتمًا إلى الاغتراب، بيد أنّها لا تتردّد في الفصل في أمرها فقد اختارت النجوم، وإن كان اختيارها سيؤدّي إلى حالة اغترابيّة جديدة، فالنّجوم هي شطآن حلمها وهي العائلة المكوّنة من شرر وهي العائلة التي تنعزل عن البشريّ بضيق حدوده، ولا تكتمل معادلة الانفصال دون إقران الانعزال بتفوّق قول الأنا على حدود المكان والزّمان معًا، فنشيد الأنا هو ذاك النّشيد الذي ضاق عنه الوتر فبات غريبًا عن لغة المجموع القاصر عن إدراكه واحتوائه.

نرى أنّ توظيف الاستفهام البلاغيّ (أين البشر؟) ينسجم مع إحساس الأنا بالغربة في محيطها، فالسّؤال معروف الإجابة: فما من بشر يبدّدون وحدتها وغربتها، هم موجودون جسدًا ولهم حضورهم الفيزيائيّ، بيد أنّ الأنا تفتقدهم حين تبحث عمّن يوائم تطلّعاتها ورؤاها، عندها يطغى الإحساس بالغربة ويصبح سطورًا متكرّرة في صفحات "الكتاب". زد على ذلك أنّ نبرة الاستفهام ذاته هي نبرة الاستعلاء المشحون بلهجة الاستهتار بالآخر، وكأنّ الذّات الشّاعرة تستعلي على المجموع سائلةً: أين أنت من مداراتي؟ أين أنت من النّجوم التي أصبحت لي موطنًا ومقامًا؟ ولنا أن نخال عجز المجموع عن تزويد الإجابات لتلك الذّات وقد حلّقت وتعالت.

تقترن الغربة بالتّميّز والتّفرّد ورفعة المكانة ونفاسة صاحبها، وتلك معادلة وجدناها ثابتةً عند الشّاعرين، وكأنّهما يطمحان إلى إبراز الغربة كموطن من مواطن القوّة عندهما، فليست الغربة ممّا يعيب الأنا بقدر ما تُبرِز تفوّقها وتعاليها على الآخر وعلى المجموع، بناءً عليه لا تصدر عن الأنا أصوات وآلام الشّكوى جرّاء اغترابها بل أنّ حالات الاغتراب هي فرصتها لتعزيز وعيها بتجاوزها للآخر القابع في حدوده.

الملاحق

جدول رقم 1: علاقة التّداخل بين الذّاتين في استيائهما من أحوال زمانهما

المتنبّي	أدونيس
تذمّ الأنا الشّاعرة زمانها وتستصغر شأن أهله.	تستاء الأنا من زمانها وتعتبره زمنًا هزيلًا.
تُوظَّف كلمة "أذمّ" لتعبّر عن شديد استياء الأنا من أحوال زمانها.	كلمة "سحقًا" تؤدّي كلّ معاني الاستياء والاحتقار حيال زمنها الهزيل.
يأتي الخطاب الشّعريّ على لسان المتكلّم معبّرًا عن ذاتيّة الإحساس.	ضمير المتكلّم هو وسيلة الأنا في تعبيرها عن أزمتها في ظلّ تدهور أحوال زمانها.
تشبّه الأنا أهل زمانها بقطعان الغنم وقد تجرّدوا من إنسانيّتهم.	يُشبَّه أهل زمان الأنا بالحيوانات التي تعيش بالإصطبل وقد فُقدَت مواصفات الإنسانيّة منها.
تكتفي الأنا بتشبيه أهل زمانها بقطعان الغنم دون أن تدعو إلى الثّورة والتّمرّد.	لم تكتفِ الأنا بوصف حال زمانها بل دعتهم وحثّتهم على التّمرّد والمعصية.

جدول رقم 2: تبدّل موقف الذّاتين من زمانهما

المتنبّي	أدونيس
تستاء الأنا من زمانها وتذمّه، وذلك قبل الاتصال الوصول إلى حلب والاتصال بسيف الدولة.	تتّخذ الأنا موقف الاستياء من زمانها في صفحات الجزء الأول من "الكتاب".
تهادن الأنا زمانها تسع سنوات، فهي تنعم في بيئة تعزّز شأن الشعر والشعراء.	لا يتبدّل موقف الأنا من زمانها، وإن كانت صفحات الجزء الثاني من "الكتاب" تتداخل وتتقاطع مع عهد المتنبّي الذهبيّ في قصر سيف الدولة، إذ يبقى موقفها على ما هو عليه من الاستياء واستصغار شأن ذلك الزمن.
تستاء الأنا من زمانها بعد انقضاء عهد الشاعر في حلب.	صوت متون أدونيس في الجزء الثالث من "الكتاب" بمثابة امتداد لصوت التذمر في الجزأين السابقين.

جدول رقم 3: محاور التّماهي بين الذّاتين في تجربة الاغتراب

أدونيس	المتنبّي
تعيش الأنا حالةً من الغربة في مجتمعها، وتعتبر وجودها فيه كالمنفى، كما تعبّر عن رغبتها في الخلاص منه.	الإحساس بالغربة ركيزة البيتين وصوتهما. لا تعبّر الأنا عن رغبتها في الخلاص من مجتمعها صراحةً، بيد أنّ المتلقّي يلمح تلك الرّغبة مبطّنةً في البيتين.
جعل أدونيس نصّه في بداية الجزء الأوّل من "الكتاب"، مقاربًا بين نصّه وسيرة المتنبّي ومرحلة الصّبا فيها.	أنشأ المتنبّي هذين البيتين في صباه.
النّفس تيّاهةٌ تنزع إلى التّنزيه والتّعالي.	تُنزّهُ الأنا حين تُشَبّه بالأنبياء.
يتوزّع الخطاب الشعريّ ما بين ضمير المتكلّم وضمير الغائب و"البعيد" تجانسًا مع أجندة الأنا.	تمعن الأنا في فصل الأنا عن الآخر، فبات تنويع الضّمائر استجابة لغاياتها.
الإخبار هو أسلوب الأنا في التّعبير عمّا تخوض من تحدّيات، وهي على ثقة بصدق قولها.	تختار الأنا الإخبار وسيلة لنقل صوتها، فهي شديدة الثّقة بمصداقيّة قولها.

جدول رقم 4: الغربة ليست انكسارًا

أدونيس	المتنبّي
القول الشّعريّ يتمحور حول إلحاح الاغتراب على الأنا التي تبغي التّحرّر من ضيق مساحات مجتمعها.	يُبنى النّصّ على تجربة التّغرّب التي تعيشها الأنا وقد شاءت الابتعاد عن مدارات مجتمعها.
لا يرتسم الاغتراب كانكسار أو انهزام، فهو بداية تحرّر الأنا من معيقات شروعها.	تتزامن تجربة التّغرّب مع إحساس الأنا بتعاظم شأنها، فليس التّغرّب ممّا يهزمها.
الاغتراب هو اختيار الأنا فهي لا تقبل الإملاءات، بل هي سيّدة نفسها ولا تأتمر إلّا بأمرها.	الأنا سيّدة نفسها ولا تخضع لمن قد يصدر عليها الأحكام.
إلحاح الأنا على الاغتراب يدلّ على أنّها لا تخشاه.	لا تهيّب الأنا من تجربة التّغرّب.
يرد الفعل "اغترب" مرّتين في نهاية المتن كتجسيد لإلحاح الرّغبة في الرّحيل على الذّات.	يجعل المتنبّي الفعل "تغرّب" مطلعًا لبيته دالًّا بذلك على إلحاح الرّغبة في الارتحال عليه.

جدول رقم 5: الاغتراب مساحة للتّفرّد والتّميّز

أدونيس	المتنبّي
مفهوم المنفى الدّاخليّ يسيطر على متون عديدة.	تعيش الأنا حالةَ النّفي الدّاخليّ في أهلها وفي وطنها.
لا يرتسم الاغتراب كانكسار بل تعدّه الأنا تجسيدًا لتفوّقها.	ليس الاغتراب ممّا يضعف الأنا بل يُبرِز تميّزها.
تنتمي الأنا إلى المجموع لكنّها تتخطّاه وتتجاوز حدوده.	الأنا تعي أنّها جزء من مجتمعها، لكنّها كالذّهب في تفوّقه على التّراب الذي يحتويه.
يتعاظم الإحساس بالغربة حين تفتقد الذّات الشّاعرة لمن يقترب من مزاياها.	تتفاقم غربة الأنا حين تفتقد النّظير والشّبيه.
الأنا دائبة باستمرار على إبراز علوّ شأنها ورفعة مكانتها.	نفاسة الذّات الشّاعرة ركيزة أساسيّة تُبنى عليها أجندتها وما تقوم عليها من اعتداد بالنّفس.
تختار الأنا النأي عن مجتمعها فتنعزل عنه مفضلّة النّجوم على فضاء محيطها الضّيّق.	نفاسة الأنا تحول دون بقائها بين الأهل وفي حدود الوطن.

المصادر والمراجع

أبو ديب، كمال. "هو ذا الكتاب"، **مجلة فصـــول**. القاهرة: الهيئة العامّة للكتاب، العدد 4، 1997، 205- 256.

أدونيس. **أغاني مهيار الدمشقيّ**. ط.2. بيروت: دار العودة، 1970.

أدونيس. **مقدّمة للشّعر العربيّ**. بيروت: دار العودة، 1971.

أدونيس. **زمن الشّعر**. بيروت: دار العودة، 1972.

أدونيس. **النّصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة**. بيروت: دار الآداب، 1993

أدونيس. **الكتاب- أمس المكان الآن** I. بيروت: دار السّاقي، 1995.

أدونيس. **الكتاب- أمس المكان الآن** II. بيروت: دار السّاقي، 1998.

أدونيس. **الكتاب- أمس المكان الآن** III. بيروت: دار السّاقي، 2000.

باختين. **شـعريّة دسـتوفسـكي**. ترجمة: جميل التّكريتي. الدّار البيضـاء: دار توبقال للنّشـر، 1986.

بارت، رولان. **لذّة النّصّ**. ترجمة وتعليق: محمد خير البقاعي. د.م.: المجلس الأعلى للثّقافة، 1998.

بدوي، عبده. **الغربة والاغتراب والشّعر**. ط.2. القاهرة: دار قباء للطّباعة والنّشر، 1998.

البديعيّ، يوسـف. **الصّـبح المنبي في حيثيّة المتنبّي**. تحقيق: مصـطفى السّـقّا، محمّد شـتّا، عبدة زيادة عبدة. القاهرة: دار المعارف، 1963.

بلاشير. **أبو الطّيّب المتنبّي**. ترجمة: إبراهيم الكيلاني. دمشق: دار الفكر، 1985.

بنّيس، محمد. **ظاهرة الشّعر المعاصر في المغرب**. بيروت: دار التّنوير، 1985.

بنّيس، محمد. "أدونيس ومغامرة الكتاب"، **مجلة فصـــول**. القاهرة: الهيئة العامّة للكتاب، العدد 2، 1997، 173- 204.

البياتيّ، عبد الوهّاب. **تجربتي الشّعريّة**. ط.3. بيروت، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 1993.

جبّوري، يحيى. **الحنين والغربة في الشّعر العربيّ**. عمّان: دار راوي، 2008.

جينيت، جيرار. **مدخل لجامع النّصّ**. ترجمة: عبد الرّحمن أيّوب. الدّار البيضاء: دار توبقال للنّشر، 1986.

حسين، طه. **مع المتنبّي**. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

درويش، أسيمة. **تحرير المعنى: دراسة نقديّة في ديوان أدونيس الكتاب 1**. بيروت: دار الآداب، 1997.

راضي، جعفر. **الاغتراب في الشّعر العراقيّ**. دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1999.

رجب، محمود. **الاغتراب: سيرة المصطلح**. القاهرة: دار المعارف، 1986.

زامل، صالح. **تحوّل المثال: دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبّي**. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 2003.

زين الدّين، ثائر. **أبو الطّيب المتنبّي في الشّعر العربيّ المعاصر**. ط1، دمشق: اتّحاد الكتّاب العرب، 1999.

سنير، رؤوبين. "لماذا تنفى الكلمات؟": الشّاعر وصخرته في مرآة الشّعر الملتزم"، **الكرمل- أبحاث في اللّغة والأدب**. 14 (1993)، 93- 49.

سنير، رؤوبين. **ركعتان في العشق، دراسة في شعر عبد الوهّاب البيّاتيّ**. بيروت: دار السّاقي، 2002.

شاكر، محمود. **المتنبّي**. القاهرة: مطبعة المدني، 1977.

شرارة، محمّد. **المتنبّي بين البطولة والاغتراب**. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدّراسات، 1981.

عبد المنعم، مجاهد. **الإنسان والاغتراب**. دمشق: سعد الدّين للطّباعة والنّشر، 1985.

عصفور، جابر. **قصيدة الرّفض، قراءة في شعر أمل دنقل**. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 2017.

قطّوس، بسّام. **سيمياء العنوان**. عمّان: وزارة الثّقافة، 2001.

كريستيفا، جوليا. **علم النّصّ**. ترجمة: فريد الزّاهي. الدّار البيضاء: دار توبقال للنّشر، 1997.

مفتاح، محمد. **تحليل الخطاب الشّعريّ: استراتيجية التّناصّ**. الدّار البيضاء: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1992.

اليازجي، ناصيف. **العرف الطّيّب في شرح ديوان أبي الطّيّب**. بيروت: المطبعة الأدبيّة، 1887.

يقطين، سعيد. **تحليل الخطاب الرّوائيّ: الزّمن- السّرد- التّبئير**. الدّار البيضاء: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1989.

يقطين، سعيد. **الرّواية والتّراث السّرديّ: من أجل وعي جديد بالتّراث**. الدّار البيضاء: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1992.

المصادر الإنجليزيّة:

Adolphe, Haberer. *Intertextuality in Theory and Practice*. Lyon: University of Lyon, 2007.

Alfaro, Martinez Maria. "Intertextuality: Origins and Development of the Concept". *Atlantis xviii* (1-2) (1996), 268-285

Allen, Graham. *Intertextuality*. London: Routledge, 2004.

Hafez, Sabry. “Intersexuality and the Semiotics of the Literary Work”. *Alif: Journal of Comparative* Poetics 4 (1984), 7-32.

Jayyusi, Salma Khadra. *Trends and Movements in Modern Arabic Poetry.* Liden: Brill, 1977.

Kristeva, Jolia. *Desire in Language: A Semiotic Approach to Literature and Art*. ed. Leon S. Rondiez and trans. T. Gora et al. New York: Colambia Univesity Press, 1980.

Larkin, Margaret. *Al- Mutanabbi: Voice of the 'Abbasid Poetic Ideal.* Oxford: Oneworld, 2008.

Levenstone, E. A. "The Significance of the Title in Lyric Poetry". *Hebrew University Studies in Literature,* 6 (1978), 63-67.

Moreh, Shmuel. *Studies in Modern Arabic Prose and Poetry.* Leiden: E.J. Brill. 1988.

Saleem, A. "Theme of Alienation in Modern Literature". *European Journal of Language and Literature Studies.* 2 (2014), 67-76.

Taha, Ibrahim. "The Power of the Title: Why Have You Left the Horse Alone? by Mahmud Darwish". *Journal of Arabic and Islamic Studies 3* (2000), 66-83.

Taha, Ibrahim. "Literary Draft: The Semiotic Power of the lie". *Semiotica* 152-1/4 (2004), 159-177.

Wallace, Catherine. *Reading*. Oxford: Oxford University Press, 2006.

Wardeh, Nadia M. " From Ali Ahmad Sa'id to Adonis: A Study of Adonis' Controversial Position on Arab Cultural". *Asian Culture and History* 2 (2010), 189-212.

مواقع إلكترونيّة:

Jaggi, Maya. "Adonis: A Life in Writing" (مقابلة مع أدونيس في جريدة الجارديان)
https://www.theguardian.com/culture/2012/jan/27/adonis-syrian-poet-life-in-writing. (تاريخ الدّخول: 5.5.2020)